الدبلوماسية البريطانية والعدوان الايطالي على ليبيا ١٩١١ - ١٩١٢

الدكتور هاشم التكريتي

كان الاستعماريون الطليان يعملون منذ وقت طويل للاستيلاء على طرابلس وبرقة وهما الاقليمان اللذان يكونان مع فزان الجمهورية العربية الليبية في الوقت الحاضر ، لأهميتها الستراتيجية ولاتخاذهما ركيزة للتوسع اللاحق . لقد أراد استعماريو ايطاليا الاستيلاء على هذين الاقليمين لا لتقوية مركز ايطاليا السياسي والعسكري في البحر المتوسط فحسب وانما ليجعلوا منهما سوقا واسعة للبضائع الايطالية وموردا للمواد الخام ومجالاً لتشغيل رؤوس الأموال الايطالية أيضاً . وكان بنك روما من بين المؤسسات المالية الايطالية التي كانت لها مصلحة كبيرة في الاستيلاء على الاقليمين المذكورين وقد لعبت ادارة هذا البنك دوراً كبيراً في اشعال الحرب التركية — الايطالية [١] .

---

١ يؤكد جيوليتي رئيس وزراء ايطاليا انذاك بصراحة ان بنك روما «كان له في برقه وطرابلس مصالح مهمة من واجب الحكومة الايطالية ان تحميها » انظر :
G. Giolitti; The Memoirs of my life, London and Sydney, 1923, p. 251.

وهكذا أخذت الحكومة الايطالية منذ بداية القرن العشرين توجه جهودها نحو الاستعداد لغزو طرابلس التي أخذ يزورها الكثير من أعضاء البرلمان الايطالي لجمع المعلومات . وكان ضباط الاسطول الحربي الايطالي يمسحون سواحل طرابلس متنكرين في زي الصيادين .

وكرست الدبلوماسية الايطالية جهودها أيضاً لتمهيد السبيل للاستيلاء على طرابلس وبرقه وحاولت أن تستغل التناقضات السائدة بين المعسكرين الاستعماريين اللذين انقسمت اليهما أوربا آنذاك من أجل تأمين حيادهما في حالة قيام الحرب بين ايطاليا والدولة العثمانية التي كانت طرابلس وبرقه تابعتين لها .

لقد كانت الظروف في بداية القرن العشرين مناسبة لتحقيق نوايا ايطاليا لأن جميع الدول الاوربية الكبرى كانت تنظر بعين الرضا إلى مطامع ايطاليا في شمال افريقيا ، فالنمسا كان من مصلحتها أن تنشغل ايطاليا في شمال افريقيا لأن ذلك يصرفها عن الأهتمام بضفة الأدرياتيك الشرقية التي كانت الدولتان تتنافسان فيها على النفوذ ، وفرنسا لم تكن تعارض في استيلاء ايطاليا على طرابلس وبرقه لأنها كانت قد اعترفت لايطاليا بالنفوذ فيها بموجب اتفاق عقد بين الدولتين قبل ذلك . أما المانيا فقد أفهمتها الحكومة الايطالية استحالة تجديد الحلف الثلاثي اذا ما عارضت المانيا نوايا ايطاليا الرامية إلى احتلال ولاية طرابلس . وبسبب من المنافسة القائمة بين المانيا وانجلترا لم ترد هذه الأخيرة أن تعارض ايطاليا في هذه المسألة ، وأما روسيا القيصرية فقد كان من مصلحتها اضعاف الدولة العثمانية عن طريق استيلاء ايطاليا على بعض ولاياتها البعيدة .

وهكذا حظيت ايطاليا بموافقة دول الحلف الثلاثي والوفاق الثلاثي على السواء ، لان جميع هذه الدول انطلقت في هذه القضية من اقتناعها بأن اتجاه السياسة الايطالية في المستقبل سيحدده موقف هذه الدولة أو تلك أو

هذه المجموعة من الدول أو تلك من العدوان الايطالي على الأقاليم العثمانية في شمال أفريقيا .

وحدثت أزمة مراكش الثانية وتوطد النفوذ الفرنسي فيها فهيأ ذلك للحكومة الايطالية الفرصة المناسبة لتحقيق خططها بشأن برقه وطرابلس [1] وكانت ايطاليا تخشى من تركيز واتساع النفوذ الألماني في هذين الأقليمين [2] ولا تنظر باطمئنان إلى الاسطول العثماني الذي قد يقوى بعد بضع سنوات فدفعها هذا وذاك إلى الاسراع في الشروع بعملية الاحتلال .

وهكذا ما ان حل صيف ١٩١١ حتى قررت الحكومة الايطالية أن الوقت قد حان للأستيلاء على طرابلس وبرقه . غير أن الدبلوماسية الايطالية رأت ضرورة الحصول على موافقة الدول الأوربية الكبرى قبل أن تقوم الحكومة الايطالية بأية خطوة في هذا السبيل . لقد كانت الدبلوماسية الأيطالية تعلق أهمية كبرى على موقف انجلترا من النزاع الأيطالي — التركي فأخذت الأوساط الحاكمة في ايطاليا تبذل قصارى جهدها من أجل أن تجذب الحكومة البريطانية إلى جانبها ملوحة لها ببعض المكاسب ، وعلى هذا الأساس بدأ السفير الأيطالي في لندن نشاطه لسبر غور الحكومة البريطانية

---

١ لقد استغلت الاوساط الاستعمارية في ايطاليا ازمة مراكش بشكل واسع لتحقيق نواياها بشأن طرابلس ، فنتيجة لتوطيد نفوذ فرنسا في مراكش توسعت الحملة التي تدعو الى الاستيلاء ايطاليا على طرابلس الى درجة دفعت السفير الانجليزي في روما الى ان يكتب الى حكومته قائلا ان « الرأي العام في ايطاليا سيطيح بغضب بأية حكومة توافق بصمت على ما يعني في الواقع استيلاء فرنسا على قسم من مراكش دون نضال للحصول على وضع مشابه لأيطاليا في طرابلس » — :

British Documents on the origins of war, 1898 - 1914, Ed. by G.P. Gooch and H. Temperly, London, 1926 - 1938, vol. IX, Part 1, No. 224, p. 268.

٢ نظر حول ذلك : —

British Documents; vol. IX, Part 1, No. 221, p. 264; G. Giolitti; op. cit., p. 254.

فأشار إلى ضرورة اتخـــاذ ايطاليا اجراءات حازمة محتجاً بمـــا كانت تضعه الحكومة العثمانية ، على حد قوله ، من عراقيل امام نشاط ايطاليا الأقتصادي في طرابلس . ومن أجل أن تضمن الدبلوماسية الايطالية سكوت انجلترا عن العدوان الأيطالي المرتقب أخذت تؤكد لها بأنه « عندما تحين الفرصة المناسبة فان سياسة الأبواب المفتوحة ستطبق بدقة تامة ولن تكون اعادة النظر في الحدود (بين برقه ومصر) موضوعاً للنزاع »[١] . ان ذلك يعني عندما يترجم من اللغة الدبلوماسية إلى لغة الواقع أن الحـــكومة الأيطالية أعطت موافقتها على أن تحتل انجلترا مناطق برقه المتاخمة لمصر . وقد حدث ذلك بالفعل اثناء الحرب التركية الأيطالية[٢] .

وكان من دواعي غبطة المستعمرين الطليان أن وجدوا لدى انجلترا مساندة حقيقية لخططهم بشأن برقه وطرابلس . ففي ١٦ أغسطس ١٩١١ أكد وزير الخارجية البريطاني ادوارد كَري للسفير الأيطالي في لندن ، وهو يجيب على شكوى الأخير من تصرف الدولة العثمانية تجاه مصالح ايطاليا الأقتصادية في طرابلس : أن انجلترا ستكون إلى جانب ايطاليا في هـــذه القضية[٣] ، وطمأنه بأنها ستفهم الحكومة العثمانية بأن أى عمل ستقوم به ايطاليا « لحماية مصالحها » سيكون سببه الأتراك أنفسهم[٤] .

على أننا يجب أن لا نستغرب من ذلك فالأوساط الحاكمة في انجلترا قررت بعد أن درست القضية بعناية ، ان تساند ايطاليا في نزاعها مع الدولة العثمانية ، وقد كان تشرشل صريحاً بهذا الشأن عندما كتب يقول :

---

١ British Documents; vol. IX, Part 1, No. 245, p. 281.

٢ H. A. Gibbons; The New Map of Africa, (1900 - 1916), New York, 1916, p. 123.

٣ British Documents; vol. IX, Part 1, minute, p. 266.

٤ British Documents; vol. IX, Part 1, No. 231, p. 274; No. 221, p. 264.

« ولكن من الواضح باننا يجب أن نفضل ايطاليا على تركيا في جميع الأحوال سواء أكانت محقة أم لا »[1].

لقد أرضى موقف انجلترا هذا الحكومة الأيطالية التي سارعت بعد أن تأكدت من موقف الدول الأخرى إلى تنفيذ خططها الآنفة الذكر بشأن طرابلس وبرقة فوجهت إلى الدولة العثمانية في ٢٣ سبتمبر ١٩١١ مذكرة استفزازية عبرت فيها عن قلقها بشأن « هيجان » سكان طرابلس الذي يهدد الرعايا الأيطاليين – كذا – وطالبت بايقاف نقل الأسلحة إلى الأقاليم العثمانية في شمال افريقيا ، وبعد يومين أى في ٢٥ سبتمبر – وجهت ايطاليا مذكرة احتجاج جديدة إلى تركيا ، ونتيجة لذلك طلب السفير العثماني في لندن بتفويض من حكومته أن تقوم انجلترا بنصح الحكومة الأيطالية ودفعها إلى التخفيف من مطاليبها ، غير أن الحكومة البريطانية رفضت ذلك معلنة أنه ليس في نيتها التدخل حتى لو سمحت ايطاليا لنفسها باحتلال طرابلس[2].

ومع كل ذلك رأت الحكومة الأيطالية أنه من الضروري التأكد مرة أخرى من موقف انجلترا قبل أن تبدأ عملياتها الحربية فعلاً ضد الدولة العثمانية ، ولهذا بادر السفير الايطالي في لندن إلى سؤال مساعد وزير الخارجية الانجليزي نيكلسون في ٢٧ سبتمبر عما اذا كان قد حدث تغير ما في موقف انجلترا في قضية طرابلس فاجابه نيكلسون بانه لا يعلم بان تغيراً ما قد حدث[3] . وفضلاً عن ذلك أكد كرى نفسه للسفير ، الأيطالي بعد تسلم الحكومة العثمانية للانذار الأيطالي مباشرة بان انجلتر غير عازمة على التدخل في الحرب المقبلة بين ايطاليا وتركيا[4] .

---

١ British Documents; vol. IX, Part 1, No. 240, p. 278

٢ G. Giolitti; op. cit., pp. 263-264.

٣ British Documents; vol. IX, Part 1, No. 245, p. 281

٤ British Documents; vol. IX, Part 1, No. 250, p. 284

وبعد أن حصلت الحكومة الأيطالية على موافقة انجلترا وبدون أن تنتظر جواباً على مذكرتها السابقة وجهت للحكومة العثمانية في ٢٨ سبتمبر ١٩١١ انذاراً جاء فيه ان الحكومة الأيطالية قررت « حفظاً لكرامتها » ومصالحها ان تحتل طرابلس وبرقه اللتين تعيشان في ظل الحكم العثماني حالة بالغة من الفقر والمرض احتلالاً عسكرياً . وطلب الانذار من الحكومة العثمانية ان تتخذ الاجراءات اللازمة « لكيلا تلاقي ايطاليا من جانب السلطات العثمانية (في طرابلس وبرقه) أية معارضة »[١] .

وقد عبرت الحكومة العثمانية في جوابها على هذا الانذار عن استعدادها لأزالة أية عقبة تعيق التوسع الأقتصادي الأيطالي في طرابلس واقترحت تسوية النزاع سلمياً . ولكن ذلك لم يقنع الحكومة الأيطالية التي بادرت في ٢٩ سبتمبر إلى ارسال مذكرة جديدة إلى الدولة العثمانية اعلنت فيها الحرب عليها .

لقد اعلنت جميع الدول الكبرى بما فيها انجلترا حيادها رسمياً في هذه الحرب غير أن الحياد لم يكن في نظر الدبلوماسية الأنجليزية ليمنع انجلترا من التدخل في النزاع عندما تريد ذلك . لقد كشف عن ذلك فيما بعد مساعد وزير الخارجية الانجليزي اكلاند عندما كان يجيب على أسئلة النواب في مجلس العموم البريطاني في ٢٠ مارس ١٩١٢ حيث قـــال : « عندما يشن بلد ما الحرب فان عليه أن يقوم بكل العمليات بمبادرته الخاصة ولكن البلدان المحايدة الأخرى يجب أن تحتفظ بحريتها في العمل اذا ما تأثرت مصالحها[٢] . »

---

١ انظر نص الا نذار الإيطالي في : —

T. Barclay; The Turco-Italian War and its problems, London, 1912, pp. 109-111.

٢ The Parliamentary dehates, « Commons », ser. 5, vol. XXXV, p. 1864.

لقد درس الساسة الانجليز الوضع جيداً وتوصلوا إلى أن حرب ايطاليا ضد الدولة العثمانية تستجيب لمصالح الاستعمار البريطاني فهى في رأي الدبلوماسية الانجليزية تمنح انجلترا فرصة للتضييق بواسطة ايطاليا على النضال الوطني الذي كان يخوضه سكان شمال أفريقيا ضد الاستعمار الأوربي . اضافة إلى ذلك كان الساسة الانجليز يعتقدون بأن حرباً تشنها ايطاليا ، حليفة المانيا على الدولة العثمانية ستوجه ضربة قاصمة لسمعة المانيا في الدولة العثمانية بل وفي الشرق الأوسط عموماً ، الأمر الذي سيسهل على الحكومة الأنجليزية الضغط على الحكومة العثمانية وابعادها عن الميل إلى المانيا ومن ثم تعزيز النفوذ الانجليزي فيها . لقد أشار إلى ذلك السفير الروسي في لندن بنكندورف في رسالة كتبها إلى حكومته بخصوص موقف وزارة الخارجية البريطانية من الحملة الواسعة التي شنتها الصحف الأنجليزية ضد الفظائع التي كان الأيطاليون يرتكبونها في طرابلس فقال : « ان السير ارثر (نيكلسون) يأسف لموقف هذه الصحف وهويعتقد أنها ستغير موقفها بسرعة وترجع إلى التعبير عن العطف الأنجليزي التقليدي على ايطاليا ، وهذه أيضاً وجهة نظر السير أ . كري لأن انجلترا لا يمكنها ان ترضى عن أعمال تركيا الأخيرة (بقصد ميل حكومة الأتحاديين إلى المانيا) [1] » . ومن المفيد أن نلاحظ ما كتبه نيكلسون نفسه بهذا الشأن فقد جاء في رسالة له كتبها إلى السفير الانجليزي في فينا كارترايت في٢ أكتوبر ١٩١١ ما يأتي :

« يبدو لي انه من الحماقة اغضاب بلد كنا معه دائماً في علاقات ودية وصداقته عزيزة علينا (يقصد ايطاليا) من أجل الحفاظ على علاقات حسنة مع تركيا التي كانت بالنسبة لنا مصدراً لأزعاج بالغ والتي تعتبر حكومتها واحدة من أسوأ الحكومات التي يمكن تصورها » [2] .

---

١ العلاقات الدولية في عصر الأستعمار ؛ وثائق من أرشيفات الحكومتين القيصرية والموقتة ، ١٨٧٨ – ١٩١٧ ، سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، رقم ٥٥١ ، ص ٩٧ . (باللغة الروسية) .

٢ British Documents; vol. IX, part 1, No. 267, p. 298.

على ان صحيفة « التايمس » المطلعة على خبايا السياسة البريطانية كانت أكثر صراحة عندما كتبت تقول ان على الاتحاديين الذين كانوا يعملون على تنمية الصداقة مع المانيا بالرغم من المساندة الودية التي ابدتها انجلترا للنظام الجديد في تركيا ان لا ينتظروا المساعدة البريطانية [١] .

وهكذا كانت الرغبة في ابعاد الحكومة العثمانية عن المانيا وتشويه سمعة الأخيرة في أعين الأتراك هي التي دفعت كري قبل نشوب الحرب إلى ان يحدد موقف انجلترا في النزاع المقبل بين ايطاليا والدولة العثمانية بالشكل التالي : — « اذا ما لجأ الأتراك الينا عندما تقوم ايطاليا بسياستها العدوانية فيجب علينا ان نحيلهم إلى المانيا والنمسا حليفتي ايطاليا [٢] » . وهذا ما حدث بالفعل فعندما طلب الصدر الأعظم من السفير الانجليزي في اسطنبول النصح بشأن نوايا ايطاليا أجابه السفير بأنه في حالة لا تمكنه من ابداء أية نصيحة وان على تركيا ان تتوجه إلى أعضاء الحلف الثلاثي [٣] .

ومن الجهة الأخرى لعبت رغبة الحكومة البريطانية في اخراج ايطاليا من الحلف الثلاثي بل وجلبها إلى الوفاق الثلاثي دوراً مهماً ان لم يكن اساسياً في تحديد موقف انجلترا خلال النزاع الايطالي — التركي ، فقد حذر السفير الأنجليزي في روما رود حكومته بان اتجاه السياسة الأيطالية المقبل سيعتمد على موقف الدول من نوايا ايطاليا تجاه طرابلس [٤] . لقد افترض الساسة الأنجليز بان المانيا لن تستطيع ان تقدم لحليفتها ايطاليا مساندة حازمة لخططها تجاه طرابلس وبرقه خوفاً من فقدان مواقعها المهمة في الدولة العثمانية ، الأمر الذي سيؤدي إلى توتر العلاقات الأيطالية —

---

١ « The Times », September 29, 1911.

٢ British Documents; vol. IX, part 1, No. 231, p. 274.

٣ British Documents; vol. IX, part 1, No. 237, p. 277

٤ British Documents; vol. IX, part 1, No. 224, p. 268

الألمانية ويعطي الدبلوماسية البريطانية امكانية استغلال هذا الظرف لجذب ايطاليا إلى الوفاق الثلاثي . لقد كتب دولكوروكي وكان سفيراً لروسيا في روما إلى حكومته بهذا الشأن يقول : — « ستستغل بريطانيا العظمى وفرنسا ازدياد اهمية ايطاليا دولياً لأدخالها في اتفاقية ما تضعف مشاركتها في الحلف الثلاثي ، ويمكن ان يكون الدافع لمثل هذه الاتفاقية في رأيي اقتراح فرنسا وبريطانيا العظمى بان تضمنا لأيطاليا ممتلكاتها الجديدة (في شمال افريقيا [1]) » .

وهكذا كانت العوامل المشار اليها في اعلاه اسباباً دفعت الحكومة البريطانية إلى ان تتخذ موقفاً مناسباً لايطاليا في النزاع التركي — الأيطالي فانطلاقاً من هذه العوامل حدد كري خط الدبلوماسية البريطانية في هذه القضية على النحو التالي : « من المهم جداً الآن ان لا نقف نحن ولا فرنسا ضد ايطاليا [2] » .

وانسجاماً مع هذا الموقف اسرعت الحكومة البريطانية إلى اعلان حياد مصر ، وهى بذلك لم تخرق سيادة الدولة العثمانية التي كانت مصر تابعة لها رسمياً ولم توجه ضربة لهيبة الحكومة العثمانية فحسب وانما سببت لها متاعب عسكرية يصعب تذليلها لان السلطات الانجليزية منعت مرور القطعات العسكرية التركية إلى طرابلس عن طريق مصر وبهذا جردت الدولة العثمانية من أنسب طرق الاتصال مع ممتلكاتها البعيدة في شمال أفريقيا وحرمتها من ١٩,٠٠٠ جندي كان على مصر ان تقدمها للجيش العثماني ، فقد حدد المندوب السامي الانجليزي في مصر كتشنر بانه سيستدعي عدداً مماثلاً من

---

١ العلاقات الدولية . سلسلة ٢ ، جزء ١٩ ، قسم ١ ، رقم ٥١ ص ٤٦ ؛ حول ذلك انظر أيضاً العلاقات الدولية . سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، رقم ٧١٤ ، ص ٢٢٩ ؛ ورقم ٧١٥ ص ٢٣٠ وكذلك :

British Documents; vol. IX, part 1, No. 286, pp. 309-310; No. 296, pp. 315-316.

٢ British Documents; vol. IX, part 1, No. 231, p. 274.

الجنود الانجليز لكي « يدافعوا » عن مصر في حالة ما اذا انضم هؤلاء إلى الجيش العثماني [1] وفضلاً عن ذلك قامت حكومة مصر باعلان حالة الحرب في منطقة الحدود مع ليبيا فكانت فصائل الجنود التي يقودها ضباط انجليز تقوم بتفتيش القبائل ومصادرة السلاح [2] . وعمدت الحكومة الأنجليزية أيضاً إلى احتجاز سفينتين كانت الدولة العثمانية قد أوصت على بنائهما في انجلترا قبل الحرب .

أما الدول الأوربية الكبرى الأخرى فقد اتخذت كأنجلترا موقفاً مواتياً لأيطاليا اذ أنها كانت تنطلق من مصالحها الاستعمارية وتنظر إلى الحرب التركية — الأيطالية من وجهة نظر علاقاتها بالجهتين المتحاربتين . واستخدام الوضع الناجم عن الحرب للحصول على ما يمكن من المكاسب . ومن هذه الزاوية أيضاً كانت هذه الدول تنظر إلى مسألة الوساطة بين الجهتين المتحاربتين وهى المسألة التي أثارتها مذكرة الحكومة العثمانية إلى الدول في ١ أكتوبر ١٩١١ والتي طلبت فيها الضغط على ايطاليا من أجل « قبول المقترحات المذكورة في جواب تركيا على الانذار الايطالي [3] » .

لقد رفضت الدول الكبرى جميعها الاستجابة لهذا الطلب العثماني ، وجاء في جواب الحكومة البريطانية ان اعلان الحرب « قد جعل التدخل الفوري أكثر صعوبة وهو لا يسمح بعد الآن وإلى حين ظهور نتائج ، العمليات الحربية بالحديث عن حصانة الأقاليم التركية [4] » .

لقد أثار العدوان الأيطالي على ليبيا موجة استياء ظاهر لدى الرأي

---

١ W. C. Askew; Europe and Italy's acquisition of Libya, 1911-1912, Durham, 1943, p. 71.

٢ نوفيه فريميا » ٣١ ديسمبر ١٩١١ (١٣ يناير ١٩١٢)

٣ العلاقات الدولية ؛ سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، رقم ٥٠٠ ص ٥٥ .

٤ العلاقات الدولية : سلسلة ٢ جزء ١٨ قشم ٢ رقم ٥٠٣ ص ٥٦

العام الانجليزي وأبرزت الصحف الأنجليزية فظائع الأيطاليين في طرابلس وأدانتها ، وقد أثار ذلك قلق الاوساط الحاكمة في ايطاليا فاستدعي وزير الخارجية الأيطالي دي سان جوليانو – السفير الأنجليزي في روما وعبر له عن استياء حكومته من موقف الصحافة الأنجليزية غير الودي تجاه ايطاليا [1] كذلك كتب محرر جريدة « تريبونا » الأيطالية ، إلى جريدة التايمس اللندنية يشكو موقف الصحافة الأنجليزية ويشير إلى ان هذا الموقف قد ولد انطباعاً سيئاً في ايطاليا [2] . ونتيجة لذلك قررت الأوساط الدبلوماسية في انجلترا الضغط على الصحافة الأنجليزية وحملها على الاعتدال في هجومها على ايطاليا مدفوعة الى ذلك بخوفها من أن الحملة الصحفية ربما تفقد انجلترا عطف ايطاليا من جهة وتؤدي إلى تشجيع تركيا من جهة أخرى [3] . وجاء نجاح مساعي الدبلوماسية الأنجليزية في هذا السبيل سريعاً وفعالاً ، نتيجة للجهود التي بذلتها وزارة الخارجية البريطانية اصبحت الصحافة الأنجليزية أكثر « تعقلاً » تجاه ايطاليا [4] .

في ٩ أكتوبر ١٩١١ أرسلت الحكومة العثمانية إلى الدول مذكرة جديدة تضمنت اساساً جديداً يمكن ان تقوم عليه المفاوضات بين ايطاليا وتركيا بوساطة من الدول الأوربية . لقد عبرت الحكومة العثمانية في هذه المذكرة عن استعدادها للأعتراف بمطاليب ايطاليا بالقدر الذي ستعترف فيه الدول الكبرى بأن هذه المطاليب تستجيب لمتطلبات الوضع آنذاك وبشرط الاحتفاظ بحقوق السيادة التركية [5] .

---

١ British Documents; vol. IX, part 1, No. 256, p. 288; No. 257, p. 289.

٢ « The Times », October 2, 1911.

٣ British Documents; vol. IX, part 1, No. 256, minute, p. 288.

٤ British Documents; vol. IX, part 1, No. 257, minute, p. 291; No. 256, minute, p. 289.

٥ العلاقات الدولية ؛ سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، رقم ٥٦٥ ، ص ١١٥ . وكذلك جاستيه رقم ٣ ص ١١٥ .

غير أن دول الوفاق الثلاثي علمت ان المانيا هى التي أشارت بتقديم هذه المذكرة [1] ولذا أخذت تنظر بعين الريبة إلى استجابة المانيا لطلب تركيا هذا واقتراح المانيا على الدول بأن يقوم ممثلو هذه الدول في روما باستيضاح وجهة نظر الحكومة الأيطالية بشأن هذه المقترحات التركية . لقد ارتاب كري كثيراً بموقف المانيا هذا ووجد فيه تعبيراً عن رغبة الدبلوماسية الألمانية في رفع المسؤولية عن المانيا في حالة فشل الوساطة ولذا اخبر الحكومة العثمانية بان انجلترا ترفض التوسط مبرراً ذلك بأن المذكرة التركية الحديدة لم تتضمن أسساً محددة وبأنه يرغب في أن تكون أكثر وضوحاً [2] . وهكذا اخفقت المذكرة الجديدة في ان تدفع الدول إلى التوسط لأنهاء الحرب .

لقد طالت الحرب دون ان تستطيع ايطاليا أن تحقق نتائج جوهرية مما دفع الحكومة الأيطالية إلى توسيع منطقة العمليات الحربية حتى شملت البحر الأحمر وبحر الأدرياتيك والبحر الأيوني كما قام الاسطول الأيطالي بقصف ميناء بريفيزا الألباني ، مما أثار قلق النمسا حليفة إيطاليا إلى درجة « كان من المتوقع معها حدوث القطيعة بين الدولتين الحليفتين [3] » . حتى أن الصحف النمساوية أخذت تهاجم وزير خارجية النمسا ايرنتال متهمة اياه بالتفريط بالمصالح النمساوية في البانيا وبحر الأدرياتيك وبالتهاون تجاه المطامع الأيطالية في هذه المناطق [4] .

---

١ العلاقات الدولية : سلسلة ٢ ، جزء ١٨ قسم ٢ ، رقم ٥٦٧ ص ١١٦ . وكذلك جاستيه رقم ٥ ص ١١٦ .

٢ British Documents; vol. IX, part 1, No. 281, p. 306

٣ الأرشيف الأحمر ، جزء ١ (٨ (، ١٩٢٥ ، ص ٢٠ . (باللغة الروسية) . حول نفس الموضوع انظر ايضاً : الأرشيف الأحمر ؛ جزء ٢ (٩) ، ١٩٢٥ ، ص ٦ .

٤ « The Times », October, 13, 1911.

وهكذا كان فشل المحاولة الألمانية الأخيرة للتوسط من جهة وتوسيع العمليات الحربية الأيطالية في بحر الأدرياتيك وعلى الساحل الألباني من جهة ثانية ، سبباً دفع الحكومة النمساوية إلى ان تقـــدم للدول في ٢٣ أكتوبر اقتراحاً جديداً للتوسط يقوم في جوهره على توحيد جهود جميع الدول الكبرى لتحقيق اتفاق حول خطة عامة من شأنها أن تؤدي في اللحظة المناسبة إلى العمل بصورة مشتركة في كل من روما واسطنبول [١] وفي الوقت نفسه توجه ايرنتال إلى الدول الكبرى يسألها عما اذا كان من الواجب اعتبار اعلان ايطاليا ضم طرابلس اساساً للتوسط أم أن الدول من حقها ان تبدي شروطها لأيقاف الحرب وتجنب التعقيدات [٢] .

لقد فهم كري هذا الاقتراح النمساوي على أن المسألة تتعلق بضم ايطاليا لطرابلس ولهذا فقد نص في جوابه بأن ذلك لا يعني وساطة الدول الخمس وانما محاولة هذه الدول الضغط على الحكومة العثمانية . واقترح بأن يقوم سفراء الدول في اسطنبول اولاً بابداء وجهات نظرهم فيـــما يتعلق بالأحوال في تركيا وان يستوضحوا عما اذا كان الوقت ملائماً للتدخل [٣] .

غير أن الوضع الدولي اصبح أكثر تعقيداً نتيجة لأن ايطاليا أصدرت في ٥ نوفمبر ١٩١١ بياناً بضم طرابلس وبرقه . وذلك قبل أن يستطيع جيشها انجاز احتلال هذه المناطق . لقد دفع الحكومة الأيطالية إلى ذلك طول أمد الحرب دون أن يحرز الجيش الأيطالي إي نصر حاسم ورغبتها في قطع الطريق أمام ما أخذ يتردد بين الدول من حديث حول الحفاظ على حقوقه السلطان العثماني في هذه الأقاليم وأملها في أن يؤدي ذلك إلى

---

١ British Documents; vol. IX, part 1, No. 290, p. 312

٢ العلاقات الدولية : سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، رقم ٧٠٢ ، ص ٢١٦ .

٣ British Documents; vol. IX, part 1, No. 294, p. 314.

اضعاف المقاومة البطولية التي لاقاها الأيطاليون في ليبيا واخيراً رغبتها في وضع الدول الأوربية أمام الأمر الواقع املاً منها في ان ذلك سيدفع هذه الدول إلى العمل على مباشرة هذه الوساطة بشكل أكثر فعالية .

ولكن هذه التقديرات الأيطالية لم يكن لها ما يبررها ذلك أن جميع الدول الكبرى انطلاقاً من مصالحها الخاصة اعتبرت البيان الأيطالي عملاً سابقاً لأوانه . لقد خشيت دول الوفاق الودي ان يؤثر هذا البيان الأيطالي على نظام الامتيازات ويلحق الضرر بمصالحها التجارية في الامبراطورية العثمانية ، ولهذا وبالرغم من أن السفير الأيطالي في لندن في محاولته للحصول على اعتراف الحكومة البريطانية بالبيان الأيطالي أكد ككري ان الحكومة الأيطالية سوف تستجيب لرغبات انجلترا بكل الوسائل فيما يتعلق بالحقوق التجارية الا أن ككري أجاب بشكل غامض محتجاً بضرورة التشاور مع الدول الأخرى الموقعة على الاتفاقيات الدولية التي مسها هذا البيان وبضرورة معرفة إلى أى مدى مس هذا البيان الاتفاقيات التجارية الأنجليزية [1] .
لقد استاء الساسة الأنجليز من البيان الأيطالي ايضاً لأن ايطاليا أعلنته قبل أن تستولي على طرابلس نهائياً ومن شأن ذلك في نظر الدبلوماسية الأنجليزية ان يطيل الحرب إلى أجل غير محدد [2] وهو ما كانت تخشاه انجلترا .
ثم ان الدبلوماسية الأنجليزية لم تكن ترغب في التقيد بالأعتراف بالبيان المذكور وانما كانت تفضل البقاء حرة من أى التزامات رسمية تجاه الجهتين المتحاربتين ، الأمر الذي يمكنها من العمل بالشكل الذي تريده وفي الوقت الذي تراه مناسباً ، يضاف إلى ذلك أن الحكومة الأنجليزية رفضت الأعتراف بالبيان الأيطالي لأنها لم تكن ترغب في اثارة استياء تركيا ، لذلك فالدبلوماسية الأنجليزية في هذه الفترة لم يكن في نيتها أن تعمل أى

---

١ British Documents; vol. IX, part 1, No. 301, p. 319

٢ العلاقات الدولية : سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، رقم ٨٢٤ ، ص ٣٢٤ .

شئ من شأنه أن يثير انطباعاً سيئاً في اسطنبول » على حد تعبير السفـــير الروسي في لندن بنكندورف . غير أن ذلك لم يكن يعني أن انجلترا كانت على استعداد لأن تقف بحزم في وجه النوايا الأيطالية . فالمسئولون في لندن كما يذكر بنكندورف نفسه « قد استكانوا تماماً لحقيقة أن طرابلس ستصبح ايطالية عاجلاً أو آجلاً »[1] ، ولهذا بالذات كان ككري يعتقد أن الأساس الوحيد الذي ستجري بموجبه المحادثات بين البلدين المتحاربين ، هو ماهية التعويض الذي ستكون ايطاليا مستعدة لأن تقدمه لتركيا ، ولم يكن مستعداً لمباشرة الوساطة الا على هذا الأساس فقط [2] .

وهكذا فشلت الحكومة الأيطالية في دفع الدول الكبرى إلى التدخل في النزاع لصالح ايطاليا عن طريق بيانها الذي أعلنت فيه ضم طرابلس وبرقه ، مما دفعها إلى البحث عن وسيلة جديدة لتحقيق هذا الهدف . وكانت الوسيلة الجديدة في نظر الساسة الأيطاليين هى توسيع نطاق العمليات الحربية بحيث تشمل منطقة المضايق [3] التي كان بقاؤها مفتوحة مهماً جداً لتجارة الدول الاوربية وبصورة خاصة لتجارة انجلترا وروسيا ، غير أن خوف الحكومة الأيطالية من أن تصبح في النهاية معزولة دبلوماسياً وقلقها من الأخبار التي كانت تشير إلى أن روسيا عازمة عـــلى القيام بمبادرة دبلوماسية في روما واسطنبول هدفها دفع الحكومة الأيطالية إلى الامساك عن كل ما من شأنه أن يؤدي إلى غلق المضايق دفعها إلى تأجيل هذه الخطوة فاعلنت عن تخليها عن محاصرة الدردنيل [4] . وقد استغلت

---

١ العلاقات الدولية . سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، رقم ٨٣٦ ، ، ص ٣٣٥
British Documents; vol. IX, part 1, No. 287, p. 311.

٢

٣ الدردنيل والبسفور

٤ العلاقات الدولية : سلسلة ٢ ، جزء ١٩ ، قسم ١ ، رقم ١٠٥ ، ص ٩٨ – ٩٩ .

الحكومة البريطانية اعلان ايطاليا هذا لرفض المبادرة الروسية المذكورة .

ومن الجهة الأخرى توجهت الحكومة الأيطالية إلى كل من انجلترا وفرنسا تطلب منهما ان ينصحا تركيا بالدخول في محادثات مع ايطاليا على أساس أن تدفع الأخيرة تعويضاً مالياً لها[1] . ولكن ككري خشية منه في أن يفسر الأتراك تدخله في هذه القضية على أنه ضغط من جانب انجلترا أجاب بأنه اذا ما تحتم القيام بذلك فيجب أن تقوم به الدول الخمس الكبرى جميعها بصورة مشتركة[2] . لقد اعتقد ككري بأنه بهذه الطريقة يستطيع أن يبعد انجلترا عن تهمة الضغط على تركيا ، وبذلك يقطع الطريق على الدسائس الألمانية الموجهة إلى الايقاع بين تركيا وانجلترا .

لقد كان الصراع الدبلوماسي بين الدول الكبرى حول قضية التوسط بين البلدين المتحاربين مجالاً ظهرت فيه بشكل واضح التناقضات الحادة بين هذه الدول ، وقد كانت هذه التناقضات وكذلك تنافس هذه الدول وخصوصاً ألمانيا وانجلترا من أجل اجتذاب الدول المتحاربة على رأس العوامل التي أدت إلى فشل جميع محاولات التوسط لأن هذه الدول جميعها لم ترغب في الضغط على أى من البلدين المتحاربين في الوقت الذي كان فيه هذا الضغط ضرورياً لايقاف الحرب .

ولكن الحرب طالت بشكل غير متوقع دون أن تحقق ايطاليا نتائج حاسمه وذلك بفضل النضال البطولي الذي خاضه ضدها الليبيون ، لقد كانت المقاومة عنيفة إلى درجة اضطرت ايطاليا معها إلى زيادة جيشها باستدعاء بعض الاحتياط . وكان استمرار الحرب يهدد الدول بتعقيدات لا يمكن التنبؤ بنتائجها خصوصاً في البلقان التي كانت الأزمة فيها تتفاقم مع استمرار الحرب ، فكان ذلك اضافة إلى رغبة الدول في أن تحتفظ

---

١ British Documents; vol. IX, part 1, No. 325, minute, p. 325.

٢ British Documents; vol. IX, part 1, No. 313, p. 325.

بالمبادرة في مسألة الوساطة كي ترفع سمعتها في نظر الأطراف المتحاربة من الأسباب التي دفعت هذه الدول إلى الاستمرار في تبادل الرأى بشأن شروط عقد الصلح .

وكانت المبادرة في هذه المرة من نصيب الحكومة الروسية ، ذلك أن خوف الاوساط الحاكمة في روسيا من تفاقم الأزمة في البلقان مما ينذر بنشوب حرب قد تتحول إلى حرب كبيرة غير ملائمة لروسيا نظراً لعدم استعدادها آنذاك لمثل هذه الحرب ، ورغبة هذه الأوساط في تعزيز علاقاتها مع ايطاليا من أجل اتخاذها شريكاً يعتمد عليه في مجابهة نوايا النمسا في البلقان وأخيراً ايمان الساسة الروس بأن الدولة العثمانية ستفقد طرابلس عاجلاً أو آجلاً ، كل ذلك دفع وزير الخارجية الروسي سازونوف في ٢٨ ديسمبر ١٩١١ إلى تقديم اقتراحه المعروف حول الاسلوب الواجب اتباعه لعقد الصلح بين الدولة العثمانية وايطاليا . ويتلخص هذا الاقتراح في أن على الدول الأوربية بعد أن تتفق فيما بينها بشأن مبدأ التدخل الأوربي نفسه أن تتخذ الخطوات اللازمة في اسطنبول لاقناع تركيا بحتمية فقدانها لطرابلس وبرقه ومن ثم التأثير عليها ودفعها إلى عقد هدنة تستمر إلى أن تظهر امكانية عقد صلح نهائي ، ويجب على تركيا ان تستخدم هذه الفترة الزمنية بين عقد الهدنة والصلح لسحب قواتها من هذين الأقليمين وفي الوقت نفسه يجب على ايطاليا أن تدفع لتركيا تعويضاً نقدياً يتفق الطرفان على تحديد مقداره ، وعلى الدول الأوربية من الجهة الأخرى أن تعترف بسيادة ايطاليا على الأقليمين المذكورين دون أن يطلب من تركيا مثل هذا الاعتراف ، وعلى فرنسا أن تقوم بالاتصال الدبلوماسي وتنفيذ الضغط المطلوب باعتبار أن مصالحها في تركيا تقتصر على الناحية المالية فقط [١] .

---

١ العلاقات الدولية : سلسلة ٢ ، جزء ١٩ ، قسم ١ ، رقم ٢٧٥ للص ٢٥٥ – ٢٥٦ ؛
British Documents; vol. IX, part 1, No. 350, p. 352

وقبل أن نتعرض لموقف الحكومة البريطانية من اقتراح سازونوف ، هذا لا بد أن نلاحظ انه حدث في نهاية ١٩١١ وبداية ١٩١٢ بعض التغيير في موقف انجلترا من الحرب التركية ـ الأيطالية عموماً . فقد تحول موقف الحكومة البريطانية في بداية ١٩١٢ من الحياد الودي بالنسبة لأيطاليا وهو الموقف الذي اتخذته سابقاً إلى العمل على ايجاد نوع من التوازن بين الدولتين المتحاربتين ولهذا فقد أخذت انجلترا تنتهج سياسة من شأنها أن تعيق ايطاليا عن احراز نصر حاسم يمكن ان يؤدي إلى تقوية الحلف الثلاثي من جهة وتمنع الدولة العثمانية من تحقيق نصر من شأنه أن يشكل خطراً كبيراً على المصالح البريطانية في مصر وما بين النهرين .. الخ من جهة أخرى . ذلك أن توسيع ايطاليا للعمليات الحربية في البحر المتوسط وشمال افريقيا واحتمال استيلائها على طبرق على الساحل الأفريقي الأمر الذي يجعلها تهيمن على جانبي البحر المتوسط في هذه المنطقة وكذلك السرعة المحمومة التي كانت تبنى بها السفن الحربية في ايطاليا ، كل ذلك أثار قلقاً بالغاً في لندن لانه يؤدي إلى تقوية ايطاليا والحلف الثلاثي في البحر المتوسط الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى عرقلة مواصلات بريطانيا مع الهند ويهددها . واذا كانت انجلترا قد اتخذت قبل الحرب وفي الأشهر الأولى منها موقفاً لصالح ايطاليا فلأن الدبلوماسية الأنجليزية كانت تأمل في أنها بذلك تستطيع ان تجلب ايطاليا اليها وتبعدها عن الحلف الثلاثي ولهذا لم تعارض انجلترا في حصول ايطاليا على جميع الفوائد التي يهيؤها لها استيلاؤها على طرابلس وبرقه . أما الآن أى في بداية ١٩١٢ وقد مر وقت طويل منذ بدء الحرب وعلاقات ايطاليا والمانيا لم تنقطع رغم الأزمات المتكررة التي كانت تعتريها فلم تعد تنازلات انجلترا لصالحها أمراً مرغوباً فيه في رأى الأوساط الحاكمة الأنجليزية .

ولا بد أن نشير هنا إلى أن نشاط العناصر الوطنية في مصر وتونس

ومراكش وغيرها قد انتعش بتأثير النهوض الذي أصاب حركة التحرر الوطني بسبب العدوان الأيطالي على ليبيا [1] . فانعكس ذلك بشكل سلبي على موقف انجلترا من نشاط ايطاليا في طرابلس لأن مساندة ايطاليا والحالة هذه تعني تعقيد علاقات انجلترا مع العرب والمسلمين في المستعمرات ومناطق النفوذ البريطانية ، خصوصاً أن عدوان ايطاليا على طرابلس كان قد أثار استياءً ظاهراً وشديداً في العالم الاسلامي كله [2] .

وهناك حقيقة أخرى أثرت على موقف انجلترا في هذه المسألة أيضاً هى أن الأيطاليين أخذوا يعملون على اقامة علاقات مشبوهة هدفها تثبيت النفوذ الأيطالي في منطقة البحر الأحمر وشبه جزيرة العرب ، وقد اعترف جيولتي بأن الحكومة الأيطالية قد اتصلت بقائد النضال التحرري في شبه جزيرة العرب ، وابدت له مساعدة مالية وعسكرية [3] . وكان ذلك يهدد بالقضاء على خطط الاستعمار البريطاني بخصوص جزيرة العرب لأن انجلترا كانت هى نفسها تعمل على مساندة العناصر العربية المستاءة

---

١ انظر حول ذلك : – ز. ب. ياخيموفتش ؛ الحرب الأيطالية – التركية ، ١٩١١–١٩١٢ موسكو ١٩٦٧ ، ص ١٠٨ – ١٠٩ . (باللغة الروسية)

٢ كتب السفير الروسي في اسطنبول تشاريكوف بهذا الشأن يقول إن القنصل الروسي في بغداد اورد معلومات تشير الى أن « المجتهدين في النجف اصدروا فتوى نشروها في الصحف المحلية وفي بيان خاص دعوا فيها جميع المسلمين الى النضال ضد الكفار ... » ، ومضى تشاريكوف يقول : « وليس من شك في أنه كلما طالت الحرب التركية الإيطالية ... كلما اتسعت موجة الهياج الديني لدى المسلمين ... هذا الهياج الذي لن يقتصر على البدو في أعماق الصحراء وانما سيشمل أيضاً السكان الحضر في تونس والجزائر ومصر . وفضلا عن ذلك فان الحرب قد اثارت في الهند ، استياء ٦٥ مليون مسلم يعيشون هناك ... » – العلاقات الدولية ، سلسلة ٢ ، جزء ١٨ قسم ٢ رقم ٧٥٩ ص ٢٧١ – ٢٧٢ . انظر حول ذلك ايضاً : – « ريج » ٦ (١٩) تشرين اول ١٩١١ ، « نوفيه فريميا » ٢٥ أيلول (٨ تشرين اول) ١٩١١ ؛
« The Times » October 4, 1911; The parliamentary debates « Commons » Ser. 5 vol. XXXII, pp. 136, 2557.

٣ G. Giolitti; op. ci., p. 307.

من تركيا في جزيرة العرب أملاً في استقلالها لترسيخ النفوذ الانجليزي في هذه المنطقة .

ومما أقلق الأوساط الحاكمة الأنجليزية أيضاً أن السفن الحربية الأيطالية أخذت بحجة مكافحة التهريب تفتش سفن الدول المحايدة ، لقد كان ذلك في رأيها امارة تشير إلى نية ايطاليا في اقامة سيطرتها على المواصلات البحرية في المتوسط ، هذا اضافة إلى ان استمرار الحرب بين تركيا وايطاليا كان يسبب ضرراً كبيراً للتجارة الانجليزية في بحر ايجه والبحر المتوسط [١].

ولعب الرأى العام الأنجليزي أيضاً دوراً بارزاً في تحديد موقف الحكومة البريطانية في المسألة الراهنة [٢] ، فقد كان للأخبار التي أوردتها الصحف الأنجليزية وبعض نواب البرلمان حول أعمال العنف والاغتصاب التي كان الجيش الأيطالي يمارسها ضد السكان المدنيين في طرابلس [٣] دور كبير في اثارة استياء الرأى العام الأنجليزي من ايطاليا ومن موقف الحكومة البريطانية السلبي إزاءها .

لقد أظهرت هذه الحقائق جميعها للساسة الأنجليز مدى الخط الذي يمكن أن يسببه للمصالح الأنجليزية استمرار الحرب التركية — الأيطالية ، فالدوائر الحاكمة الأنجليزية كانت في البداية تعتقد بأن ايطاليا ستتمكن

---

١ The Parliamentary debates « Commons » Ser. 5. vol. XXXII, p. 103.

٢ Entente Diplomacy and the World. Matrix of the history of Europe, 1909-1914, Edeted, arranged and annotated by George Ahel Schriener, London, 1921, No. 195, pp. 164-165.

٣ حول ذلك انظر : —

The Parliamentary debates, « Commons », Ser. 5, vol. XXXII, pp. 144-145, 147; « The Times », November 9, 1911;

« ريج » ٢١ اكتوبر (٣ نوفمبر (١٩١١ ، ٢ (١٥ نوفمبر ١٩١١)

جامعة قاريونس
كلية الآداب
مكتبة السور الغربي

من دحر تركيا بسرعة ، ولم يكن ليخطر في بال أى من الساسة الأنجليز بأن الحرب يمكن أن تستمر طويلاً . لقد اعترف بذلك فيما بعد اللورد نيوتن في مجلس اللوردات عندما قال إن « العمليات الحربية كانت أصعب إلى درجة كبيرة مما كان يتوقع قبلاً واوسع مما يمكن للمرء أن يتصوره [1] » .

ولكن رغم توقعات الأنجليز والأيطاليين أيضاً [2] استمرت الحرب وكان واضحاً ان الجيش الأيطالي عاجز عن تحقيق أى نصر حاسم ، مما أدى إلى أن فكرة الضغط على ايطاليا من أجل ايقاف الحرب أخذت تنتشر أكثر فأكثر بين أوساط الساسة الأنجليز [3] .

في مثل هذه الظروف كان على الدبلوماسية البريطانية أن تشارك في الصراع الدبلوماسي حول مسألة الوساطة في بداية ١٩١٢ ، فالاعتبارات التي ذكرناها في أعلاه كان من شأنها أن تنعكس على موقف انجلترا في هذه المسألة وبالتالي على موقفها من جميع الاقتراحات الهادفة إلى ايقاف العمليات الحربية ومنها اقتراح سازونوف الآنف الذكر . لقد درس الساسة الأنجليز هذا الاقتراح على ضوء الظروف المستجدة وتوصلوا إلى أن تحقيق الخطوات التي يقترحها سازونوف يمكن أن يؤدي إلى الاضرار بالمصالح الأنجليزية في الدولة العثمانية . لقد كان ككرى يرى أن اقتراح سازونوف بما يتضمنه من ضغط على الدولة العثمانية سيضع دول الوفاق الثلاثي في الدولة العثمانية في وضع سيىء يمكن لألمانيا والنمسا أن تستفيدا

---

(١) اخبار وزارة الخارجية ١٩١٣ ، الكتاب ١ ، ص ٧٨ . (باللغة الروسية)

(٢) كان تشاريكوف قد كتب بهذا الشأن في ٢٨ نوفمبر ١٩١١ يقول: « ان عمليات ايطاليا الحربية ... التي تشن باصرار وفي ظروف عدم استعداد الأتراك التام تتقدم ببطء اكثر وبنجاح أقل مما كان يتوقعه ، على ما يبدو ، الرأي العام الأيطالي وربما الحكومة الإيطالية نفسها » — العلاقات الدولية ؛ سلسلة ٢ ، جزء ١٨ ، قسم ٢ ، رقم ٧٥٠ ا ص ٢٦٤

(٣) انظر مثلا : أخبار وزارة الخارجية ١٩١٣ ، الكتاب ١ ، ص ٧٨ .

منه بتقديم اقتراح أكثر ملاءمة للحكومة العثمانية ، ثم ان الباب العالي — في رأيه — يمكن أن يطالب بضمان للممتلكات العثمانية في أوربا ولهذا فانه — أى ككري — يعتقد أن الوساطة لا يمكن ان تتم الا عن طريق عمل جماعي تشترك فيه جميع الدول [1] .

ورفضت الدول الكبرى اقتراح سازونوف هذا مما اضطره إلى التخلى عنه ولكنه عاد فاقترح أن تستمر الدول على تبادل الرأى بشأن الوساطة ووافقت الدول على ذلك فكان ذلك فرصة اتيحت لكَرى لأن يقترح على الدول خطة للتوسط بين البلدين المتحاربين جاء فيها أن على الدول أن تتوصل إلى اتفاق على كون الوساطة ملائمة فعلاً في ضوء الظروف السائدة ثم تتوجه بعد ذلك إلى الدولة العثمانية وتقترح عليها بشكل ودي أن تضع قضية السلام بين أيدي الدول الكبرى التي تقوم بوضع شروط ايقاف العمليات الحربية بالأتفاق مع بعضها وبعد مشاورات سرية تجريها مع ايطاليا ، ثم تنصح الباب العالي بقبول هذه الشروط [2] .

لقد جاء هذا الاقتراح منسجماً مع الجهود التي كانت تبذلها الدبلوماسية الأنجليزية لتقوية النفوذ الأنجليزي في الدولة العثمانية ، وابعاد الحكومة العثمانية عن الميل نحو المانيا . ففي تركيا اتسعت المعارضة لحزب « الأتحاد والترقي » الحاكم واستقطبت العناصر المستاءة من الوضع حول حزب « الحرية والأئتلاف » الذي تشكل في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١١ ، والذي كان زعيمه الفكري كامل باشا ذا الميول الأنجليزية الذي يتمتع بمساندة انجلترا وتأييدها . اضافة إلى ذلك قامت في تركيا في يناير (كانون

---

١ British Documents, vol. IX, part 1, No. 351, p. 353.

٢ العلاقات الدولية ؛ سلسلة ٢ ، جزء ١٩ ، قسم ٢ ، رقم ٥٠٦ ، ص ١٦٦ ؛ انظر ايضاً : —

British Documents; vol. IX, part 1, No. 369, p. 367.

ثاني) ١٩١٢ أزمة سياسية حادة كان من نتيجتها أن حُل البرلمان وأجريت الاستعدادات لاجراء انتخابات جديدة ، ولهذا فقد كان على الدبلوماسية البريطانية أن تتجنب أى ضغط على الدولة العثمانية لكى تسهل جهود المعارضة الموالية لانجلترا وتيسر لها سبل النصر على حكومة الاتحاد والترقي الميالة لألمانيا .

غير أنه تحتم بعد ذلك على الحكومة البريطانية أن توافق على وجهة نظر روسيا التي اعترضت على اقتراح كَرى السالف الذكر وأشارت إلى أنه من الضروري في بداية الأمر أن تتعرف الدول على الحد الأدنى من الشروط التي تقبل ايطاليا بموجبها وساطة الدول ، وأن تجري هذه الدول بناءً على ذلك مشاورات في اسطنبول تقترح خلالها على الباب العالي أن يقبل بالتعويض مقابل سحب القوات التركية من الأقاليم العثمانية في شمال افريقيا [١] .

وبعد أن وافقت الدول الأخرى على اقتراح روسيا هذا قام سفراؤها في روما بسؤال الحكومة الأيطالية في ٩ مارس (آذار) ١٩١٢ عن الشروط التي تقبل بموجبها وساطة الدول [٢] . وبعد ذلك بستة أيام تسلم هؤلاء جواب الحكومة الأيطالية الذي طالبت فيه باعتراف الدول بسيادة ايطاليا على طرابلس وبرقة ، وسحب القوات العثمانية من كلا الأقليمين واعادة الرعايا الأيطاليين في الدولة العثمانية إلى وضعهم قبل الحرب ، وأيدت استعدادها للأعتراف بسلطة السلطان الدينية ودفع تعويض للحكومة العثمانية عن ممتلكاتها غير المنقولة في طرابلس وبرقه وغير ذلك [٣] .

---

١ العلاقات الدولية : سلسلة ٢ ، جزء ١٩ ، قسم ٢ ، رقم ٥٠٦ ، ص ١٦٦ ؛ انظر ايضاً : —

٢ British Documents; vol. IX, part 1, No. 369, 367.

٣ British Documents; vol. IX, part 1, 381, p. 376.

٣ British Documents; vol. IX, Part 1, Enclosure in No. 392, pp. 378-380.

ولم تكن الشروط الأيطالية هذه مقبولة للدولة العثمانية التي كان العزم فيها قد انعقد على مواصلة الحرب [١] . عند ذلك اقترحت الحكومة الروسية أن تعمل الدول على معرفة الشروط التي تقبل الحكومة العثمانية ايقاف الحرب بموجبها [٢] ، ووافقت الدول على هذا الاقتراح فقام سفراؤها في اسطنبول في ١٦ أبريل (نيسان) ١٩١٢ بسؤال الحكومة العثمانية شفهياً عن شروطها لعقد الصلح [٣] . وفي ٢٣ ابريل (نيسان) اجابت الحكومة الحكومة العثمانية على هذا السؤال فذكرت أنها لا تقبل الوساطة الا على اساس الأعتراف بسيادة السلطان الفعلية التامة ، وعلى اساس أن تتخلى ايطاليا رسمياً عن ضم الأقاليم العثمانية في شمال افريقيا اليها وأن تلتزم مسبقاً بسحب قواتها من هناك [٤] .

وهكذا ظهر أن الشروط العثمانية والأيطالية متعارضة لا يمكن التوفيق بينها ، الأمر الذي لم يترك أية امكانية لعقد الصلح بين الدولتين لأن كلاً منهما كان يصر على مطاليبه وهكذا فشلت محاولة الدول الكبرى للتوسط.

وهنا بدأ الأيطاليون يعتقدون بضرورة نقل العمليات الحربية إلى منطقة المضايق لان ذلك في رأيهم يدفع الدول العربية الأوربية إلى مضاعفة نشاطها في اسطنبول من أجل دفع الحكومة العثمانية إلى الدخول في مفاوضات مباشرة مع ايطاليا من جهة ، ويزيد من حراجة موقف العثمانيين ويدفعهم إلى طلب الصلح من جهة أخرى . لقد أرادت الحكومة الأيطالية أن تنتهي من الحرب مع الدولة العثمانية بسرعة لكى تتفرغ لقضايا البلقان التي أخذ

---

١ انظر حول ذلك : —

British Documents; vol. IX, part 1, No. 385, p. 383.

٢ British Documents; vol. IX, part 1, No. 387, p. 384.

٣ British Documents; vol. IX, part 1, No. 391, p. 385.

٤ العلاقات الدولية : قسم ٢ ، جزء ٩١ ، رقم ٨٠٠ ، ص ٩٤٤ ، انظر ايضاً : —

« The Times » April 24, 1912, and May 1, 1912.

الوضع يتعقد فيها أكثر فأكثر وينذر بخطر جدي .

ولكن احتمال انتقال العمليات الحربية إلى المضايق قد أرعب الحكومة البريطانية إلى حد كبير بحيث تخلى كَرَي عن حياده وهدد ايطاليا في ٤ مارس (آذار) ١٩١٢ بانه « سوف يحتفظ لنفسه بحرية العمل في حالة توقف التجارة المحايدة خلال الدردنيل[١] » . هذا اضافة إلى أنه كان قد طلب قبل ذلك من الدول أن تحصل من الحكومة الأيطالية على تأكيد بأنها لن تقوم بعمليات حربية في المضايق والمياه المجاورة لها[٢] . ولكن حماس كَرَي في هذه القضية قوبل ببرود من جانب الدول الأخرى ، ولم تسانده غير فرنسا التي طالبت أيضاً باستثناء الساحل السوري من العمليات الحربية ، الأمر الذي شجع ايطاليا فقام اسطولها بقصف المضايق في ١٨ أبريل (نيسان) ١٩١٢ فاسرعت الدولة العثمانية إلى اغلاق المضايق في وجه السفن واعلمت الدول الكبرى بذلك املاً في أن تدفع هذه الدول إلى مساندتها ضد العدوان الأيطالي .

لقد كان لقصف المضايق صدى مختلف في عواصم الدول الكبرى . وبالنسبة للدبلوماسية البريطانية الحريصة دوماً على الاخلاص لمبدأها الرئيسي وهو الاحتفاظ بحرية العمل في كل الظروف ، فانها رفضت أن تعد بشئ فيما يتعلق بالخطوات التي ستقوم بها انجلترا بهذا الشأن . غير أنه أصبح مفهوماً في الوقت نفسه أن انجلترا لن تحتج ضد اغلاق المضايق وانما ستكتفي بابداء رغبتها بشكل ودي في أن تفتح المضايق بسرعة[٣] وبالفعل فقد طلب من السفير الأنجليزي في اسطنبول أن يعبر للحكومة العثمانية عن أمله في أن يعاد فتح المضايق في وقت قصير قدر الامكان[٤] .

---

١ British Documents, vol. IX, part 1, No. 376, p. 372.

٢ British Documents; vol. IX, part 1, No. 370, p. 368.

٣ British Documents; vol. IX, part 1, No. 397, pp. 388-389

٤ العلاقات الدولية ، سلسلة ٢ ، جزء ١٩ ، قسم ٢ ، رقم ٧٩٨ ، ص ٤٤٥ .

غير أن كَرى اضطر تحت ضغط شركات الملاحة إلى أن يطلب من الحكومة العثمانية في ٣٠ أبريل (نيسان) ١٩١٢ أن تقوم بفتح ممر موقت ولمدة كافية من أجل أن تمر السفن المحجوزة خلال المضايق [١] . كما توجه في الوقت نفسه إلى الحكومة الأيطالية طالباً منها أن تمتنع عن مهاجمة المضايق لفترة كافية لكى تقوم الحكومة العثمانية بفتحها للسفن التجارية خلال هذه الفترة [٢] .

وحذت الدول الكبرى الأخرى حذو انجلترا خصوصاً روسيا وفرنسا فطالبت الحكومة العثمانية بإعادة فتح المضايق . وهكذا اضطرت الحكومة العثمانية تحت ضغط الدول وبعد أن اقتنعت بخطأ تقديراتها المتعلقة باستخدام غلق المضايق كوسيلة ضغط على الدول الكبرى من أجل الحصول على مساندتها ضد العدوان الأيطالي ، إلى أن تعلن عن نيتها في فتح المضايق حالما تنتهي من رفع الألغام [٣] ، وبالفعل أعيد فتح المضايق للسفن التجارية في ٥ مايو .

وازدادت من ذلك الوقت رغبة انجلترا وفرنسا أيضاً في انهاء الحرب بسرعة ، منذ كان كَرى على حد تعبير السفير الروسي في لندن « تتزايد رغبته في أن يعقد الصلح بسرعة [٤] » . ذلك أن تنامي الاسطول الأيطالي وتزايد قوته واستيلاء ايطاليا على جزر الدوديكانيز وهو اجراء لجأت اليه الحكومة الأيطالية كوسيلة ضغط أخرى على الدولة العثمانية بعد

---

١ British Documents; vol. IX, part 1, No. 399, p. 390.
العلاقات الدولية ؛ سلسلة ٢ ، جزء ١٩ ، قسم ٢ رقم ٨٣٥ ، ص ٤٨٤ .

٢ British Documents; vol. IX, part 1, No. 400, p. 390.

٣ Entente Diplomacy; No. 202, p. 169.; British Documents; vol. IX, part 1, No. 402, p. 391.
العلاقات الدولية ؛ سلسلة ٢ ، جزء ١٩ ، قسم ٢ رقم ٨٤٥ ، ص ٤٩١ .

٤ Entente Diplomacy; No. 213, p. 176.

فشل عملية الدردنيل قد أثار قلقاً كبيراً في لندن وباريس خصوصاً أن تعزيز المواقع الأيطالية في حوض البحر المتوسط الشرقي يعني بالتالي ونظراً لوجود ايطاليا في الحلف الثلاثي خرق توازن القوى لصالح ألمانيا في هذه المنطقة ذات الأهمية البالغة لأنجلترا وفرنسا على السواء . لقد كان تعزيز الوجود الإيطالي في البحر المتوسط خطراً أخذ يحسه الفرنسيون على مواقعهم في سوريا ولبنان والانجليز على مواصلاتهم وقواعدهم في البحر المتوسط وكذلك على استثماراتهم في مصر والسودان [1] . لقد كان الصلح بالنسبة للأنجليز ضرورياً أيضاً لكي يضمنوا نجاح المفاوضات التي كانت جارية آنذاك بين الحكومتين البريطانية والعثمانية حول سكة حديد بغداد والخليج العربي [2] .

وهكذا بادرت الحكومة الفرنسية مدفوعة بالاعتبارات السابقة وبخشيتها من أن تأخذ المانيا مبادرة الوساطة فاقترحت على الدول عقد مؤتمر يتولى وضع شروط الصلح بين ايطاليا والدولة العثمانية . لقد كان على المؤتمر بموجب الاقتراح الفرنسي أن يتقيد بشدة بالقضايا التي تتعلق مباشرة بالحرب التركية – الأيطالية ، وأن تقوم الدول الكبرى المشتركة فيه بالتوقيع قبل ان يعقد المؤتمر المذكور على برتوكول ينص على « عدم مصلحتها » في المناطق الشرقية من البحر المتوسط [3] .

لقد رفضت الحكومة البريطانية هذا الاقتراح الفرنسي ، فقد خشي كري من أن المؤتمر سيؤدي إلى ابراز التناقضات بين المعسكرين الأوربيين المتنافسين – الحلف الثلاثي والوفاق الثلاثي ، الأمر الذي سيشد

---

١ British Documents; vol. X, part 11, No. 387, p. 590.

٢ لقد كشفت صحيفة « التايمس » في عددها الصادر في ٧ مايو (ايار) ١٩١٢ عن وجود مثل هذه المحادثات

٣ British Documents; vol. IX, part 1, No. 409, p. 398

مفاوضات مباشرة بين البلدين المتحاربين لم تلبث ان انقطعت بسبب قيام ايطاليا في ١٩ يوليو (تموز) بهجوم جديد على المضايق وذلك عندما كانت ايطاليا أكثر إلى الحلف الثلاثي . اضافة إلى ذلك تصرف كَرى بشكل سلبي تجاه صيغة « عدم المصلحة » فقد اعتبر أن اقرارها سيؤدي إلى تقييد روسيا في مسألة المضايق وهو ما لم يكن يحبذه كَرى آنذاك [١] .

غير أن ذلك لا يعني اطلاقاً ان انجلترا كانت مستعدة لمساندة روسيا في قضية المضايق . ان الدبلوماسية البريطانية لم تكن لتسمح حتى بمجرد التفكير في امكانية تغير نظام المضايق لصالح روسيا . ومع ذلك فانها كانت تأمل ان تحقق بواسطة هذا الموقف الذي يبدو ظاهرياً فقط لصالح روسيا الفوائد التالية :

أولاً ، انها كانت تحاول عدم اثارة استياء القيصرية الروسية نظراً لأن مساندة روسيا ضرورية لانجلترا في نزاعها الحتمي المقبل مع المانيا . ولهذا كان كَرى يأمل بموقفه هذا ان يلطف من الانطباع السيئ الذي تكون في روسيا بسبب رفضه منذ مدة وجيزة (اثناء المحادثات الروسية — التركية بهذا الشأن في نهاية ١٩١١) تغيير نظام المضايق ، خصوصاً انه كان يعلم جيداً بان روسيا لن تثير مجدداً مسألة المضايق نظراً لعدم توافر الظروف المناسبة آنذاك ، فهي والحالة هذه اذن لن تستفيد اطلاقاً من موقفه ذاك .

ثانياً ، انطلق كَرى في المسألة الراهنة من مبدأ السياسة الانجليزية القديم القاضي بضرورة بقاء مسألة المضايق كوسيلة في يد الحكومة البريطانية للضغط على روسيا والأحتفاظ بها إلى جانبها ودفعها عن طريق التلويح لها بالمضايق إلى دخول الحرب في الجانب الذي ستكون فيه انجلترا ، ومن هنا فان توقيع روسيا لصيغة « عدم المصلحة » يجرد انجلترا من هذه الوسيلة .

---

١ انظر :

British Documents, vol. IX, part 1, No. 410, p. 399.

ثالثاً ، لم تكن انجلترا نفسها تريد أن ترتبط باتفاق يحرمها من حرية العمل في شؤون البحر المتوسط . لقد كان الانجليز يدركون جيداً الأهمية الستراتيجية الفائقة للبحر المتوسط ولذلك فان تأمين سيطرتهم فيه كان بالنسبة لهم مهمة لا تقبل التأجيل لأن ذلك يعني دعم المواقع الانجليزية في مصر والشرق الأدنى عموماً ، ولهذا فان كَرى عندما رفض صيغة « عـــدم المصلحة » محتجاً بانها لا تلائم روسيا كان يحاول ان يخفي الحقيقة وهى عدم ملاءمة هذه الصيغة لانجلترا نفسها .

لقد تخلت الحكومة الفرنسية عن اقتراحها المذكور بعد أن رفضته كذلك الدول الكبرى الأخرى . وفشل أيضاً اقتراح آخر تقدمت به النمسا .

غير انه استجدت حتى ذلك الوقت في كل من ايطاليا والدولة العثمانية ظروف كان من نتيجتها ان زادت الرغبة فيها لأنهاء الحرب وعقد الصلح . لقد انتصرت فكرة انهاء الحرب في الدولة العثمانية نظراً لسوء الحالة المالية فيها بسبب الخسائر الكبيرة التي كانت تسببها لها الحرب ، ولتنامي النضال ضد السيطرة التركية في شبه جزيرة العرب ونهوض حركة التحرر الوطني في ألبانيا والبلقان عموماً وكذلك بسبب ما اخذ يتردد من اخبار حول عقد الدول البلقانية حلفاً موجهاً ضد الدولة العثمانية . فمن أجل أن تتفرغ الحكومة العثمانية لهذه المشاكل جميعها كان لا بد لها أن تنهي حربها مع ايطاليا .

ومن الجهة الأخرى كانت بايطاليا حاجة إلى السلم أيضاً ، وكانت حاجتها هذه نابعة من ظروف موضوعية على رأسها ما ظهر في تلك الفترة من احتمال تعقد الوضع في البلقان ورغبة الحكومة الأيطالية في التفرغ والاستعداد لمواجهة نوايا النمسا في هذه المنطقة وعلى الأخص في ألبانيا ورغبتها أيضاً في انهاء مقاومة الليبيين وهو أمر كان الاستعماريون الطليان يعتقدون بان من الاسهل تحقيقه بعد عقد الصلح مع الدولة العثمانية .

وكان من نتيجة ذلك أن بدأت في ١٢ يوليو (تموز) ١٩١٢ في لوزان

الدولة العثمانية تعاني أزمة سياسية حادة كان من نتيجتها ان استقالت الحكومة تحت ضغط الجيش . ولم تلبث الحكومة الجديدة التي الفت من العناصر الميالة بدرجات متفاوتة إلى انجلترا ان جددت المفاوضات التي طالت كثيراً وأدت في النهاية إلى التوقيع على معاهدة اوشي في ١٥ أكتوبر (تشرين أول) ١٩١٢ التي فقدت الدولة العثمانية بموجبها اقاليمها في شمال افريقيا إلى الأبد .

وهكذا تخلت الدولة العثمانية عن ليبيا وتركت الشعب الليبي وحده يقاوم الأستعمار الأيطالي مقاومة استمرت فترة طويلة بعد التوقيع على معاهدة اوشي .

لقد حاولت الدبلوماسية البريطانية استغلال الحرب التي قامت بين ايطاليا والدولة العثمانية من أجل تقوية النفوذ الأنجليزي في كل من هذين البلدين ، غير انها اصطدمت في جهودها هذه بمقاومة ضارية من جانب المانيا التي كانت تسعى إلى تعزيز مواقعها القديمة في الدولة العثمانية من جهة وإلى احراز مواقع جديدة في هذه الدولة من جهة ثانية ، وكذلك إلى الاحتفاظ بايطاليا ضمن الحلف الثلاثي ومقاومة مناورات الدبلوماسية الأنجليزية الهادفة إلى اخراج ايطاليا منه . وكانت نتيجة هذا الصراع العنيف بين أقوى دولتين في تلك الفترة ان حققت المانيا هدفها بابقاء ايطاليا مخلصة للحلف الثلاثي الذي تعززت مواقعه في البحر المتوسط نتيجة لاستيلاء ايطاليا على طرابلس وبرقه ، بينما كان نجاح انجلترا جزئياً فعلى الرغم من ان الوضع في تركيا مال لمصلحتها نسبياً الا ان تعزيز مواقع ايطاليا وتبعاً لذلك مواقع الحلف الثلاثي في البحر المتوسط اقلق المسؤولين الأنجليز غاية القلق . ومن هنا نبعت حمى التحصينات والتعزيزات العسكرية التي انتابت انجلترا في تلك الفترة ، ومن هنا أيضاً كان مبعث فكرة التعاون العسكري الوثيق مع فرنسا تلك الفكرة التي تجسدت في الرسائل التي

تبودلت بين كري والسفير الفرنسي في لندن كامبون في ٢٢ ـ ٢٣ ، نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩١٢ .

وهكذا فان الحرب التركية ـ الأيطالية زادت من توتر الوضع الودي وشددت من سباق التسلح وعمقت أكثر التناقضات بين الكتلتين الأوربيتين المتناسقتين آنذاك : الحلف الثلاثي والوفاق الودي الثلاثي وقربت من لحظة الصدام بينهما .

الدكتور هاشم التكريتي